بنائية النسق الفني في التكوينات الخطية الحرة

Structural technical format in free linear formations

م.د. علي عبد الحسين محسن الشديدي

M.D. Ali Abdul Hussein Mohsen Al-Shadidi

جهة الانتساب: جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة/ قسم الخط العربي والزخرفة

Affiliation: University of Baghdad/ College of Fine Arts/ Department of Arabic Calligraphy and Decoration

البريد الالكتروني الرسمي: ali.a@cofarts.uobaghdad.edu.iq

ملخص البحث:

تحتكم العملية البنائية في المنجز الخطي الى م٦جموعة من العوامل والمتغيرات المترابطة بتسلسل منطقي، لتنتج رؤية موحدة لإنجاز عمل فني تتوافر فيه الابعاد الوظيفية والجمالية والتعبيرية، ففي بنائية النسق الفني ليس المهم هو العنصر بقدر أهمية نظام العلاقات الذي يجعل هذا العنصر البنائي ينسجم مع باقي العناصر، وبالتالي تبرز قيمته كونه داخل بنية تنطوي على ضبط مكوناتها بدقة، لتفضي الى تقديم منجز للمتلقي منبثق من رؤية فاحصة وذائقة فنية ناضجة، أدى ذلك الى توافر أنساق خطية تعكس ثراء التجربة الفنية للخطاط من خلال الاشتغال على محورين، هما الحفاظ على الاصول القواعدية للحرف العربي قدر الامكان، والثاني محاولة انتاج تكوينات تتصف اجادتها بأسلوب عصري متفرد، وفي ضوء ذلك يطرح الباحث مشكلة بحثه بالتساؤل الآتي (ما هي بناية النسق الفني في التكوينات الخطية الحرة)؟ ويهدف البحث الى الكشف عن (بنائية النسق الفني للتكوينات الخطية الحرة)، ويتحدد البحث بتكوينات حرة منفذة بخطوط (الثلث، الكوفي المربع، الديواني الجلي) للمدة من (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م) لغاية (١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م)، وتناول الاطار النظري مفهوم البنائية وعوامل ومقومات التكوينات الخطية الحرة وطرق انتاج النسق الفني، بينما جاء الفصل الثالث ليبين اجراءات البحث التي اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، ومجتمع البحث الذي بلغ عدده (٤٠) انموذجاً، تم انتقاء (٥) تكوينات متنوعة كعينة قصدية تم اجراء التحليل عليها، وتوصل البحث على جملة من النتائج، منها تنوعت الاساليب التصميمية للانساق الفنية مظهرياً وبنائياً حسب الفكرة المتوخاة وأدوات الصياغة الشكلية التي تتفاعل فيما بينها للوصول بالتكوين الى اقصى مديات المثالية، واوصى البحث بضرورة الافادة من طاقة الحروف على التشكل الجمالي والتعبيري للانساق الفنية في التكوين الحر، كخيار يتجاوز المنجز التقليدي الدارج والمتبع، واقترح البحث اجراء دراسة عن (تنوع الانساق الفنية في الزخارف النباتية).

الكلمات المفتاحية: البنائية، النسق، التكوينات الحرة.

Abstract

The constructive process in the Formative achievement is governed by a set of factors and variables that are interrelated in a logical sequence, to produce a unified vision for the completion of a work of art in which the functional, aesthetic and expressive dimensions are available. Thus, its value stands out as being within a structure that involves carefully adjusting its components, to lead to a completed presentation to the recipient emanating from a careful vision and mature artistic taste.This led to the availability of Formative formats that reflect the richness of the calligrapher's artistic experience by working on two axes, namely preserving the grammatical principles of the Arabic letter as much as possible, and the second is an attempt to produce compositions that are characterized by their mastery in a unique modern style In light of this, the researcher raises the problem of his research with the following question: (What is the structure of the technical pattern of free Formative calligraphic)? The research aims to reveal (construction of the artistic style of free Formative formations), and the research is determined by free formations executed in (Thuluth, Square Kufic, Diwani Al-Jali) Formative for the period from (1421 AH - ٢٠٠٠ AD) until (١٤٤٤ AH - ٢٠٢٢ AD)،The theoretical framework dealt with the concept of constructivism, the factors and components of free Formative formations, and the methods of producing the artistic format, while the third chapter came to show the research procedures that relied on the descriptive analytical approach, and the research community, which numbered (40) models, (5) various formations were selected as an intentional sample. Analysis on it، the research reached a number of results, among which the design methods of artistic formats varied in terms of appearance and structure, according to the envisaged idea and the formal drafting tools that interact with each other to reach the composition to the maximum extents of idealism. The traditional achievement goes beyond the usual and followed, and the research suggested conducting a study on (the diversity of artistic patterns in plant motifs).

الفصل الاول (الاطار المنهجي)

مشكلة البحث:

تحتكم العملية البنائية في المنجز الخطي الى مجموعة من العوامل والمتغيرات المترابطة بتسلسل منطقي، لتنتج رؤية موحدة لإنجاز عمل فني تتوافر فيه الابعاد الوظيفية والجمالية والتعبيرية، لا سيما اذا كان هذا المنجز يبتعد في اخراجه البصري عن النمطية التقليدية، مولداً نسقاً خطياً يتسم بالجدة والابداع كالتكوينات الحرة. فعلى الرغم من ان هذا النوع من التكوينات يشترك مع باقي الانواع من حيث انها تتألف من وحدات تخضع لجملة من العلاقات التي توحدها وتجعلها مكتفية ذاتياً، الاّ ان الذي يميزها هي طريقة تعاطي الخطاط معها بدءً من اختيار النص مروراً بالفكرة التصميمة وانتهاءً بالتمثيل البصري، منتجة نسقاً خطياً متعالقاً يميزه عن باقي الأنساق، ففي بنائية النسق الفني ليس المهم هو العنصر بقدر أهمية نظام العلاقات الذي يجعل هذا العنصر البنائي ينسجم مع باقي العناصر، وبالتالي تبرز قيمته كونه داخل بنية تنطوي على ضبط مكوناتها بدقة، لتفضي الى تقديم منجز للمتلقي منبثق من رؤية فاحصة وذائقة فنية ناضجة.

برزت التكوينات الحرة كثمرة من ثمرات الفن القصدي للخطاط لتحريك الراكد والمتعارف في فن الخط العربي، كحافز يولد قراءة بصرية مغايرة من خلال مغادرة اشتراط مفهوم التكوين الهندسي بأشكاله المتنوعة، نحو نسق شكلي جديد لا يمكن تصنيفه ضمن التكوينات التقليدية، تتبلور من خلاله خصوصية هذا النوع من المنجزات الخطية بوصفه الحامل العلامي النشط والفاعل جمالياً.

أدى ذلك الى توافر أنساق خطية تعكس ثراء التجربة الفنية للخطاط من خلال الاشتغال على محورين، هما الحفاظ على الاصول القواعدية للحرف العربي قدر الامكان، والثاني محاولة انتاج تكوينات تتصف اجادتها بأسلوب عصري متفرد.

وفي ضوء ذلك يطرح الباحث مشكلة بحثه بالتساؤل الآتي:

(ما هي بناية النسق الفني في التكوينات الخطية الحرة)؟

أهمية البحث:

تتجلى اهمية البحث في انه قد يسهم في بيان السمات البنائية للنسق الفني للتكوين الحر.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي الى الكشف عن: (بنائية النسق الفني في التكوينات الخطية الحرة).

حدود البحث: حدد البحث بتكوينات حرة منفذة بخطوط (الثلث، الكوفي المربع، الديواني الجلي) والتي تشكل نسقاً معيناً يستجيب للمتطلبات الوظيفية والجمالية والتعبيرية في كل من (العراق، فلسطين، مصر، سوريا) نظراً لكونها من البلدان التي حرص خطاطوها على الاهتمام بهذا النوع من التكوينات وتولي الخط العربي عموما اهتماماً خاصاً، للمدة من (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م) لغاية (١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م).

تحديد المصطلحات

١- البنائية:

لغة: (البِنَاءُ المَبْنيُّ: والجمع ابنية وابنيات ... والبِنْيَةُ والبُنْيَةُ: ما بنيته وهو البِنَى والبُنَى ... الابنية من المدر أو الصوف، ويقال بنية وهي مثل رشوة ورشا كأن البنية الهيئة التي بني عليها مثل المشية أو الركبة، وبنى فلان بيتاً بناءً وبنىً شدد للكثرة ... وفلان صحيح البنية، أي الفطرة).[١]

اصطلاحاً: (نظام تحويلي، يشتمل على قوانين ويغتني عبر لعبة تحولاته نفسها دون أن تتجاوز هي التحولات حدوده أو تلتجئ على عناصر خارجية، وتشتمل على ثلاث طوابع هي: الكلية، والتحول، والتعديل الثاني ... وهي مفهوم تجريدي لإخضاع الاشكال الى طرق استيعابها). [٢]

وعرفها (فضل) بأنها: ''ترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة أو عمليات أولية على شرط ان يصل الباحث الى تحديد خصائص المجموعة والعلاقات القائمة فيما بينها من وجهة نظر معينة''. [٣]

في حين اعتبرها (صليبا): (ترتيب الاجزاء المختلفة التي يتألف منها الشيء ... ولها معنى خاص وهو اطلاقها على الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة، بحيث تكون كل ظاهرة منها تابعة للظواهر الاخرى ومتعلقة بها). [٤]

ويعرفها الباحث اجرائياً بأنها: (تصورات ذهنية متسلسلة تنطلق من نص معين وتنتج بناء شكلي منسجم جمالياً ومستند على مجموعة من العناصر البصرية التي تحكمها علاقات تصميمة لتشكل نظاماً متماسكاً).

٢- النسق:

لغة: (الشيء – نسقاً: نظمه. يقال نسق الدر ونسق كتبه ... وانتسقت الاشياء: انتظم بعضها الى بعض ... وهو ما كان على نظام واحد من كل شيء).[٥]

اصطلاحاً: عده (مدكور): ''ما كان على نظام واحد في كل شيء''.[٦]

في حين عرفه (عبد الدايم) بانه: (مجموعة من الاجزاء تكون متماسكة ارتباطاً ومتكاملة حركياً، ومتكافئة وظيفياً ومتناغمة ايقاعياً).[٧]

ويعرفه الباحث اجرائياً بأنه: (مجموعة من العلاقات والافكار التي تحكم العناصر البصرية لتعكس الطابع العام في بناء التكوين وتشخص اسلوبه).

٣- التكوينات الحرة:

لغة: (كوّنه تكويناً (أحدثه) وقيل التكوين ايجاد شيء مسبوق بمادة، وكوّن الله الاشياء تكويناً (أوجدها) أي أخرجها من العدم الى الوجود).[٨]

اصطلاحاً: عرفها (جرمط) بأنها: ''بنية متراكبة جمالياً من الحروف والكلمات والحركات الاعرابية والتزيينية، تستجيب لدلالة أومقتضى نص ما''.[٩]

في حين يرى (رياض) بأنه: (ترتيب العناصر لتكون أداة للتعبير البصري عن المعاني التي يرغب الفنان التشكيلي أن يعبر عنها ، وينقلها الى الرائي خلال العمل الفني ... وتكون مرتبة بطريقة خاصة أسوة بترتيب الكلمات لتكون جميلة تعبر عن معنى معين). [١٠]

ويعرفها الباحث اجرائياً بأنها: (البنية الشكلية الناشئة من علاقة العناصر الخطية مع بعضها والتي تحدد جوهر العمل الفني وفكرته وأبعاده المفاهيمية على وفق منحى جمالي).

الفصل الثاني (الاطار النظري)

مفهوم البنائية (المبنى والمعنى)

يشير معنى البنائية الى التشييد والتركيب والبناء من وجهة النظر الفنية لتشمل كل الاجزاء التي تدل على الشكل وكيف تتعاضد لتكون كلاً متماسكاً، وهي مشتقة من البنية وما ينتجه التحليل الداخلي والنظام الذي يحكمها، وهذا التحليل يكشف العلاقات القائمة بين العناصر وطرق التواصل الداخلي للنظام نفسه، فلا يمكن تحديد مهمة أي عنصر إلاّ بعلاقته مع باقي العناصر، لهذا تقوم البنائية بوظيفة مهمة وحيوية، (فبعض الفنانين ممن يمارسون البنائية، لا لمجرد موضوع التفكير وانما كتجربة مميزة على مستوى الخلق وتتعدى مجرد التحليل الذهني، فالفنان الذي لا نعرفه بافكاره ولا بلغته، وانما بخياله وطريقة تصوره للأشياء، أي بالطريقة التي يعيش بها البنية داخل نفسه)[١١]، فالبنائية تعد واحدة من طرق تركيب وتحليل الاشياء بواسطة إبانة قواعدها وابراز وظيفتها، فهدفها بالدرجة الاساس هو الشكل، ففي حقيقها تسعى وراء أشكال التعبير والدوافع الذاتية، وترفض الشائع والمسلم به، لذلك تلجأ الى التحليل من منظور جديد على صعيد الصياغة الشكلية والتوظيف، ولا تكتفي بالمعنى الحرفي بل تضاعفه باضافة معنى بصري يعضد من المعنى اللغوي، (فليس المهم هو اعطاء معنى للاشياء، وانما معرفة كيف ظهر هذا المعنى، وليس المهم هو الموضوع، وانما هو أنساق الوظيفة)[١٢]، فكل عنصر يدخل ضمن المنجز الخطي يشكل أهمية بدرجة معينة تبعاً لطبيعة وظيفته.

وطالما سعى الخطاط للبحث عن أفكار جديدة تؤطر منجزه الخطي، كونها تستثير ذهن المتلقي وتجذبه وتدخله في عالم من التأمل والتذوق الجمالي، تبعاً لثقافته وبيئته الاجتماعية، لتجعله يبحث عن المعنى الداخلي للنسق عبر تحولاته البنائية التي تخضع لعدة اعتبارات بهدف ابراز النص بنسق شكلي متفرد يعقد تماثلاً بين الأشكال الفنية من جهة، وتطور ثقافة المجتمع من جهة أخرى، من خلال التماثل بين البنى الفنية والبنى الإجتماعية، فالتحولات الجديدة في أنساق الخط العربي لا سيما الحرة منها، تعد تحولاً ملحوظاً عكس الممارسة الخطية التي يراد منها اظهار المهارة في انجاز تكوينات لا تتقيد بشكل هندسي أو آيقوني محدد، تمتاز بحسن التوزيع المكاني للعناصر الخطية واجادة الحروف وخلق هيأة تتصف بالحداثة.

فالنسق الجديد يرفد الفن يمعطى بصري غير مألوف يربط الأصالة بالحداثة ويسترعي الانتباه، كونه خرج عن الدارج وأصبح متفرد، فيولد – كحصيلة جمالية– احساساً معبراً وتذوقاً يعكس الخبرات المتنوعة والتجارب العميقة مستثمراً الخصائص البنيوية التي يمتاز بها الخط العربي، فعنصر النقطة على سبيل المثال – كوحدة قياسية للحرف– تجاوزت أهميتها الوظيفية، لتكون بذاتها محور العمل الفني من خلال تغيير قياسها أو لونها أو موقعها فهي لها (القدرة على خلق نمط والتعبير عن الايقاع والحركة، ولها القدرة أن تكون بؤرة الاهتمام أو مناطق ذات صفة مميزة)[١٣]، كما ان مجموع العناصر تنتج نسيجاً متصلاً يعكس قابليتها على الانسجام فيما بينها، كما في الشكل (١).

كما يشكل الحرف بتجرده العياني الخالص مصدر الهام لدى الخطاط، فتقديمه بطريقة غير اتباعية ودارجة منح النسق الفني خاصية جديدة، فعندما يوظف النص بصورة غير تقليدية، يعكس ذلك مدى التحول في رؤية الخطاط الفنية من جهة، ومدى قدرة فن الخط العربي على التكيف مع التحولات المستمرة والمبتكرة من جهة أخرى، مما ينتج حواراً تأملياً بين المتلقي والنسق القائم على مجموعة من العلاقات، فيكون الحرف هنا محفزاً تبعاً للطاقة البصرية التي يمتاز بها، كما في الشكل (٢).

فعلى الرغم من الاشتراطات القواعدية والضاغطة التي تؤطر فن الخط العربي وتضبط ايقاع حروف تكويناته على وفق معايير بنائية ثابتة نسبياً، (لتسترد المنظور الذي تطلق عليه (الرؤية المنبثقة) والذي يقوم على دراسة الاشياء في ذاتها ... فالبنية تهدف الى ادراج الاشياء في نظم مفهومة معقولة واضحة التركيب بينة الوظائف محكومة بعلائقها وارتباطاتها)[١٤]، وهي بلا شك تعد من المبادئ الصارمة التي جعلت من بنائية النسق الفني للتكوين تستهدف المثال والكمال بصورة عامة، إلا انه في الوقت نفسه يستجيب لتنوع أشكال التراكيب حتى وان كان النص واحداً، كما في الاشكال (٣، ٤، ٥، ٦) وهذه الاستجابة نابعة من قدرة الحروف على المطاوعة والمرونة لكي تتكيف حسب الرؤية التصميمية التي يسعى لها كل خطاط حسب قدرته ومهارته لتحقيقها، فالمغايرة الشكلية

للتكوينات الحرة تعمل على وفق ثنائية الحداثة والاصالة في آن واحد، وهذه الثنائية تساوق الناتج الجمالي وتطور الفكر الابداعي للخطاط، فهذا النوع من التكوينات لها أداوتها وصيغها المتعددة التي تستند في انجازها الى جملة من العوامل والمقومات ذات التسلسل المنطقي، وهي:

١- انتخاب النص:

تعتبر مرحلة انتخاب النص أولى المراحل التي يلجأ اليها الخطاط قبل الشروع في بناء التكوين، فيعد الفاعل الاساس لبداية أي تكوين خطي، والذي في كنفه يولد النسق الفني وعن طريقه يتم التوصل الى المعنى أو التصور الذهني الذي يحدد هيئة ونظام وخصائص التكوين، (فالبنى النصية وان كانت قد انجزتها كينونات لسانية، إلا انها تكون كينونات تواصلية ... فهو وحدة وظيفية تنتمي الى نظام تواصلي)[١٥]، بسبب ما يعكسه من مضمون مباشر أو ضمني قادر على التحول الى مجموعة من الانساق التي يصار الى معالجتها تصميماً، حسب الرؤية الفنية والذائقة الجمالية للخطاط، وبما ان فن الخط العربي يستند الى مجموعة من العوامل والعلاقات الذاتية والموضوعية تجتمع في المحصلة لتنتج نسقاً فنياً يحقق أبعاداً جمالية أو تعبيرية، فالنص اللغوي يتكون من علامات ورموز لها القدرة على توليد المعنى من جهة، وان تتحول الى بنية شكلية تحدد فيها نقطة الشروع واعادة التشكل من أجل تدعيم المعنى والتركيز عليه.

ان عملية تحول الخطاب النصي الى تمظهر خطي تتفاعل فيه كل العناصر الداخلية سواء كانت لونية، شكلية، اتجاهية، (قد فتح للخطاط المسلم آفاقاً جديدة أمام الكلمة كوسيلة للتعبير الفني، فقد استطاع ان يجعل من الكلمة المكتوبة فناً مرئياً لها من الاهمية الجمالية ما يغرس في الوعي التصوري شيئاً مستقلاً تماماً عن المعنى المنطقي الذي يستقيه منها الفكر)[١٦] كما في الشكل (٧)، فالاهتمام بانتخاب النص الملائم يؤدي الى الاهتمام بجودة الخط وبنيته الكلية، مما ينعكس على النسق الفني العام، فتكون الرسالة المراد ايصالها ونقلها أبلغ وأجمل.

٢- الفكرة:

تأتي الفكرة في المستوى الثاني من مراحل انجاز التكوين، وتولد من رحم النص أو معناه المباشر أو غير المباشر، ولابد أن تكون متلائمة معه، فهي تحدد ماهية التكوين وخصائصة البنائية، وتضع الخطاط أمام الخيار التنظيمي المناسب، وهي ترتبط بالممارسة الادائية والخبرة الفنية والذائقة الجمالية وتسير نحو التركيز على أفضل الخيارات المتاحة عن طريق التحليل والمفاضلة بين العناصر بالدرجة الاساس، ثم تنضج صياغة نهائية لتولد الاقناع والتقبل لدى المتلقي.

تتحول الفكرة كنتاج حسي بفضل القابلية الادائية للخطاط من خلال البحث عن مدى امكان تحققها، اي اخراجها الى الحيز البصري التداولي، وهي تعتمد على التراث الثقافي والذاكرة والقدرة الى الاسترجاع وربط الرموز

مع بعض، (وهذا يعني انها على قدر من أشكال الماضي ولكنها تنتمي للحداثة وفي الوقت نفسه تعيد للذاكرة صلتها بالخيال)[١٧]، بهدف استيعاب السمات الشكلية التي تتوافق وطبيعة المنجز، فكلما كانت الفكرة محققة لهدفها الوظيفي والجمالي وتستوعب المضمون بكل أبعاده الدلالية، كلما توصف بالابداع والجدة لكي تعبر عن نفسها بطريقة أعمق وأدق.

٣- التحوير:

منحت خاصية التحوير – كمعالجة شكلية – تطرأ على بنية الحرف والتي يستمدها الخطاط من خبرته التراكمية ورؤيته الفنية بما يوائم فكرة التكوين، دون الاخلال بالبنية الشكلية للحرف من جهة، وبين تحقق الهدف المراد ايصاله من التكوين بصورة عامة، فالتحوير هو ايجاد صيغ جديدة للحرف أو المقاطع الخطية دون تعسف على حساب القواعد الخطية والفنية العامة، (فهو تناسخ وتكرار مستمد من أصل واحد على نحو الكثرة والتنوع بأنساق شكلية غير مساوقة ومطابقة لمرجعياتها الاشتقاقية، إلا انها تمثلها في جزء منها وتحمل سماتها)[١٨]، ليلبي عدد من الاهداف المظهرية المراد تجسيدها في النسق الخطي كما في الشكل (٨).

وتتباين مستويات التحوير التي تجري على الحرف من البساطة الى الاكثر تعقيداً حسب حاجة التكوين والمستويات البنائية للنسق، وقد يصل الى مديات كبيرة من التجريد والمغايرة لسمات الاصل، ليصبح اكثر قدة على تحقيق الجوانب الجمالية أو التعبيرية أو الضرورات التصميمة، كما قد يطال التحوير بنية النسق بصورة كلية ليتلائم مع الفكرة أو الرسالة من التكوين، وهذا لا يتم بصورة عشوائية، وانما بعد دراسة معمقة لقدرة النسق على التجسد الجديد، وتطويع حروفه وتوظيفها شكلياً أو اتجاهياً أو قياسياً، كما في الشكل (٩).

فالبنية المحورة حرفاً كانت أم نسقاً (يعد بمثابة مؤشر دال على طواعية ومرونة الحرف العربي للتشكل واستجابته للتنوع الشكلي، مما يجعله مؤهلاً لتلبية عدد من الأهداف التصميمية ذات البعد التعبيري)[١٩]، ويعكس مهارة الخطاط وقدرته على توليف العناصر ضمن البنية الكلية، مما يؤسس لتعزيز مفاهيم جديدة قابلة للتمثيل البصري الجمالي.

توظيف النسق الفني:

تعد البنية الكلية التي تحتوي الاجزاء وعلاقاتها الرابطة نسقاً مكتفياً بذاته تتفاعل داخله العناصر التي تحكمها المرتكزات البنائية، فالنسق يعتبر محاولة جادة للفهم والتفسير وبيان حقل التوظيف، بالاستناد على جملة من القواعد لتأخذ طابعها الخاص لتوصيل رسالتها، ويخضع النسق الى التطور والتبدل انطلاقاً من المفاهيم التي يتبناها والافكار التي تعكس المعاني، فالبنى الرئيسة التي يتضمنها النسق تتشعب منها بنى مقاربة (لأنه نتاج واع ومقصود وبهذا المعنى يتميز النسق في انه يدل على جملة الافكار ومضمونها وترتيبها وموضعها وشكل توزيعها

وآلية ارتباطها)[٢٠] في اطار الوحدة الكلية وبسياقها الثقافي المضمر، فهو لا يعتمد على النص كشفرة دلالية تتشكل بصرياً فحسب، بل على أساس إنها نسق ثقافي لها تأثيرها الاعتباري والوظيفي، ومثال ذلك تكوينات (الطغراء)، مثلما في الشكل (١٠)، بوصفها تمثل سلطة زمانها، وتؤكد حضورها واحترام شخصها، ثم تبدلت بمرور الزمن وانتهاء تأثير السلطة الى تكوين دلالي – جمالي يحيلنا الى السلطة السابقة وبقاء أثرها البصري على الرغم من زوال تأثيرها القانوني (ومن هنا تأخذ مسألة الحضور والغياب كامل مصداقيتها، فالدال الحاضر الواحد قد تتعدد مدلولاته وقد لا تحضر اصلاً).[٢١]

فمن اهم وظائف النسق هو توجيه خطاب بصري يحتوي على بناء جمالي يؤطر بمرجع مفاهيمي، ينتج وحدة متماسكة تعكس قيم حضارية وانسانية، فهو قائم على تجديد في الصياغة الشكلية وفي حقيقته يستند على كل عنصر لوني أو اتجاهي أو قياسي أو نوعي، لكي يؤدي دوره ضمن خصائصه الشكلية سواء كانت بسيطة أو معقدة، للوصول بالتكوين الخطي الى النسق الانسب الملائم له، وهذا يعتمد على الخبرة والذائقة الجمالية، التي تتمتع بعدة تفسيرات تبعاً لطبيعة القراءة والقدرة على الادراك، مما يولد بنى جديدة باستمرار تنمي حركة الانساق دائماً.

الفصل الثالث (اجراءات البحث)

منهجية البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

مجتمع البحث: تضمن مجتمع البحث تكوينات حرة بخطوط (الثلث، الديواني الجلي، النسخ، الكوفي المربع) في كل من (العراق، فلسطين، مصر، سوريا) للمدة من (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م) لغاية (١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م) وبلغ عددها (٤٠) انموذجاً تمثل المجتمع الكلي.

عينة البحث: تم انتقاء عينة البحث باسلوب العينة القصدية غير الاحتمالية من المجتمع الكلي بواقع (٦) تكوينات نسقها قائم على طبيعة الاخراج والتنظيم المكاني للعناصر البنائية وطريقة المعالجة الشكلية للنص.

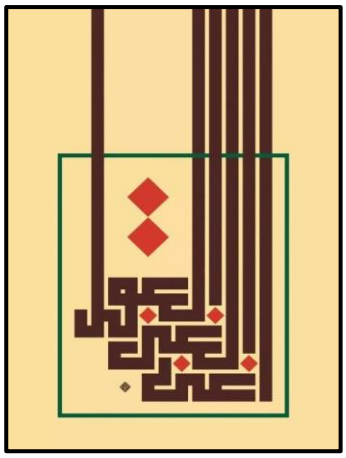

تحليل العينة:

إنموذج رقم (١)

اسم الخطاط: محمود رجب جعفر

النص: (أغنى الغنى العقل)

نوع الخط: الكوفي المربع.

البلد: مصر

ابتنى النسق الفني للتكوين على وفق تنظيم تصاعدي للعناصر الخطية متجهاً من الاسفل نحو الاعلى، استثمر فيها الخطاط الحروف الصاعدة ونظمها متجاورة في الجانب الايمن من التكوين، كما انه افاد من خاصية التكرار اللفظي لحرفي (غ، ع) فجرى توحيدها شكلياً، لاضفاء نوع من الانسجام داخل بنية التكوين، مولداً بذلك نسقاً بنائياً مغايراً في كونه لم يتم تشكيله ضمن هيئة هندسية محددة.

كذلك تم توظيف نقاط الحروف بصورة مغايرة عما هو معتاد ومتعارف عليه في هذا النوع من الخطوط، إذ جعلها معينية الشكل وباللون الاحمر وبقياسين مختلفين، أعطى السيادة فيها لنقطتي حرف (ق)، لخلق نوع من الحركة البصرية التي تكسر الرتابة الشكلية، كما حرص الخطاط على جعل كلمة (العقل) في أعلى التكوين باعتباره القيمة الاعلى لدى الانسان وهو مما ميزه الله به عن باقي المخلوقات، وبذلك منحه مزيد من الخصوصية والتفرد.

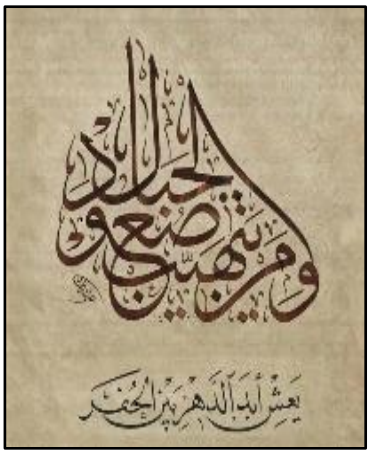

إنموذج رقم (٢)

اسم الخطاط: عبد الناصر المصري

النص: (ومن ويتهيب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفر)

نوع الخط: ثلث ونسخ.

البلد: سوريا

تأسس التكوين الخطي وفق خارطة بنائية حرة، على نوعين من الخطوط الاول هو الثلث الذي كتب به الشطر الاول من البيت الشعري باللون القهوائي كنوع من المغايرة اللونية ، حيث انتظم شكلياً مع المضمون بصورة غير مباشرة من خلال الاتجاه البنائي للمقاطع الخطية الذي بدأت من الاسفل صعودا نحو الاعلى، وقد حرص الخطاط على تجسيد معنى الصعود في كلمة الجبال عن طريق جعل حرف الالف بصورة مائلة ليتلائم مع المعنى

وكذلك حرص على وضع كلمة الجبال نفسها في اعلى التكوين في اشارة الى قمم الجبال، في اشارة الى اصحاب الهمم العالية بهدف تكييف وتفعيل الدور البنائي للتكوين الخطي

أما الشطر الثاني من البيت الشعري فقد كتب بخط النسخ باللون الاسود وبقياس أقل من قياس خط الثلث كنوع من التباين بين المواقف من جهة، واعطاء الخصوصية والافضلية لخط الثلث من جهة اخرى، فضلاً عن التنظيم المكاني للسطر في أسفل المنجز الخطي لينسجم مع المضمون في ان من يتهيب ركوب الصعاب فنتيجته دائما في الاسفل ولن يلتفت اليه أحد.

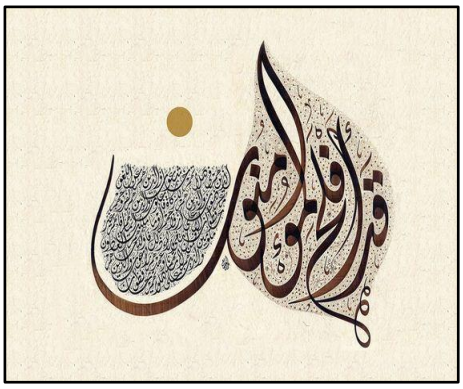

إنموذج رقم (٣)

اسم الخطاط: حمادة الربع

النص: جزء من (سورة المؤمنون)

نوع الخط: الديواني الجلي.

البلد: مصر

جاء بناء النسق الخطي الحر من خلال الاستناد الى الاية الاولى من السورة المباركة بالخط الديواني الجلي باللون القهوائي الغامق بقياس كبير، اذ تأسست فكرة التكوين على مبدأ السيادة البصرية واعطاء بداية السورة الاهمية عن طريق القياس، وقد عمد الخطاط الى جعل حوض النون بصورة كبيرة كمساحة استيعابية لباقي النص القراني من خلال تكثيف البنية النصية وجعلها متراصة وباللون الاسود وبقياس اصغر، مما منحها علاقة التداخل والترابط والذي انعكس جمالياً على المنجز الخطي بصورة عامة.

لقد منحت خاصية التكثيف طاقة للحروف من خلال اضافة طبيعة زخرفية للتكوين فضلاً عن الطبيعة النصية، نتيجة التراص والتقارب وتقليل الفضاءات البينية للحروف وسعى الخطاط في ابراز قدرته على توزيع الحروف والمقاطع الخطية والتشكيلات بصورة منسجمة، فلم تتكثف في جانب دون اخر وانما افاد من فضاء حرف النون بحيث اصبح بالنص كتلة خطية واحدة.

إنموذج رقم (٤)

اسم الخطاط: بلال مختار

النص: (حديث نبوي شريف)

نوع الخط: الثلث الجلي.

البلد: مصر

لوحة خطية تأسس جزء منها على مبدأ التناظر الثنائي عمودي المحور، بدأ الخطاط من الاعلى بمقطع (يقال لصاحب القرآن) بخط الثلث الجلي باللون الاحمر وبقياس صغير، يحيط بها حرف الالف الذي جعله الخطاط بصورة محورة بنائياً، ثم جاء مقطع (واقرأ وارتق) بصورة متناظرة وجرت عمليات التحوير الشكلي لجميع حروف الالف الواردة في النص وباللون الازرق وجاء قياسها هو الاكبر مما جعلها موضع السيادة البصرية للنسق الخطي ككل، محققاً التوازن البصري الناتج من التناظر، استندت فكرة النسق على أساس اشارة ضمنية من خلال تصاعد البناء للمقاطع الخطية تؤكد الفعل القصدي للارتقاء والصعود، والذي يشير بدوره الى الديمومة ويفسر مبدأ الحركة والمرونة لتعكس معان غير مباشرة مترابطة حسياً، ثم جاء باقي النص في الاسفل بخط الثلث العادي باللون الاسود، منتظماً بصورة سطرية مقوسة تنسجم مع البناء العام، كحاضنة تشكل قاعدة للتكوين الخطي.

إنموذج رقم (٥)

اسم الخطاط: عبد الكريم عبد ثابت

النص: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

نوع الخط: الديواني الجلي.

البلد: العراق

اشتغل الخطاط في هذا النسق الخطي على مفهوم الكناية في تحقيق فكرة التعارف الانساني، اذ صمم التكوين على شكل قلب في اشارة الى حالة المودة والاخوة، كما حرص على تجسيد حالة التصافح والتسالم داخل هذا الشكل، ويلاحظ انتقال مسارات النص المتكرر باتجاهات مختلفة لتشكل يدان متصافحتان بالخط الديواني الجلي.

ان تنوع الاتجاهات وتداخلها له دلالة تعبيرية لحالة الترميز للمعنى والدلالة عليه وما يطرأ على البنية الشكلية للنسق بهدف تفسير المضمون وتبريره باسلوب صياغة متفرد، فيتضح المفهوم من خلال شكل ادراكي، لإيصال الفكرة ومضمونها بصورة غير مباشرة عن طريق بناء نسقي يبين المعنى المضمر، وفي الفن البصري فهو يحتوي توصيف شكلي في ظل وجود عنصر يقوم بالتعويض المجازي للفكرة التي تستند على الإدراك المسبق لشكلها، بمعنى وجود ادراك أولي للفكرة المراد التعبير عنها بصورة كنائية ليتكيف مع المعنى لربط الصور الذهنية الخاصة بالرمز، وهذا يبرز من خلال تجسيد صورة مدركة للمضمون بالإستناد الى تصور سابق قائم على صياغة شكلية جديدة.

إنموذج رقم (٦)

اسم الخطاط: سعيد النهري

النص: (واذا الجنة ازلفت)

نوع الخط: الثلث.

البلد: فلسطين

اعتمد الخطاط على النظام السطري بخط الثلث وباللون الاخضر في بناء النسق الخطي، بسبب قلة مفردات النص، كما خضعت بعض الحروف الصاعدة لخاصية التحوير، لا سيما حرفي الالف والتاء، مما اخضعها لقانون التحول الشكلي، الذي يمنح التكوين بعداً تعبيرياً فاعلاً بصورة غير مباشرة، حيث جعلها بصورة مقوسة يميناً وشمالاً، كما عمد الى جعل ترويس الحروف الصاعدة على شكل اوراق نباتية متناظرة من الجانبين، في اشارة واضحة الى معنى الجنة ونعيمها.

كما ان دلالة اللون الاخضر حققت تواصلاً أوسع مع المتلقي، لوجود الموضوع الذي يربطه بها، لتحقيق التحول النوعي من خلال نظم تصميمية جديدة، عن طريق الإضافات النباتية التي زينت رأس حرف الألف لكونها تشكل اضافة زخرفية، وتغيير البنية الشكلية من أجل بيان الاداء الزخرفي داخل بنية النسق الخطي، لقدرتها العالية على توكيد المعنى وفي ضوء ذلك جاءت الاضافة كمعالجة لتضمن فاعلية التعبير، مما جعل الفكرة منسجمة مع المضمون المراد بيانه، لانتاج علاقة موضوعية شكلية بينهما.

الفصل الرابع: النتائج والاستنتاجات

نتائج البحث

١- تنوعت الاساليب التصميمية للانساق الفنية مظهرياً وبنائياً حسب الفكرة المتوخاة وأدوات الصياغة الشكلية التي تتفاعل فيما بينها للوصول بالتكوين الى اقصى مديات المثالية.

٢- جاء النص كمحفز رئيس لبناء أي نسق خطي، مستثمراً الخصائص البنيوية لكل نوع خطي وبما يتلائم مع الناتج النهائي للمنجز وبيان مدى فاعلية بعض الحروف واشتغالها داخل البنية الخطية.

٣- أثبت التحوير في البنية الشكلية لبعض الحروف فاعليته في تحقيق أبعاد جمالية وتعبيرية سواء عن طريق الصياغة الشكلية أو الاضافات الزخرفية، على الرغم من بساطة التكوين، فكانت باعثاً على ترميز الفكرة، كما في النماذج (٢، ٤، ٦).

٤- منح النظام البنائي للشريط الكتابي بعداً آخر، وهو امكانية رسم المعنى أو المضمون واظهار شكل التكوين وفكرته، كما في الانموذج (٥) مع الحفاظ على البعد القرائي، وهذه ثنائية وظيفية مزدوجة عبر تفعيل الهيئة غير النمطية للانساق.

٥- استثمار مفهوم الاتجاه واعادة الصياغة الشكلية لبعض الحروف، لا سيما الصاعدة منها، كمعالجة تعضد من الدلالة الايحائية في ارشاد عين المتلقي، كما في الانموذجين (١، ٢).

الاستنتاجات

١- يعكس تنوع الانساق الفنية قدرة وطاقة بنائية على تشكيل الحروف والافادة من طاقتها ومرونتها على تجسيد الفكرة الكلية.

٢- ان تعدد المعالجات التصميمية داخل النسق الواحد من تحوير أو اضافة أو تكبير أو تصغير، في سبيل تحقيق شولية توظف فيها كل الامكانيات الذاتية والفنية المتاحة وفق رؤية الخطاط.

٣- ان تنوع اساليب التنظيم للتكوينات الحرة، نابع من اشتغالات الانواع الخطية وتكييفها تبعاً لدلالة النص وما يعكسه من مضمون أو معنى.

٤- تغيير بنية الحروف شكلياً واتجاهياً وقياسياً وزخرفياً، منحها وظيفة مزدوجة تعمل على خلق ايقاعات بصرية متنوعة مع حفاظها على بعدها القرائي.

التوصيات

١- ضرورة الافادة من طاقة الحروف على التشكل الجمالي والتعبيري للانساق الفنية في التكوين الحر، كخيار يتجاوز المنجز التقليدي الدارج والمتبع.

٢- التأكيد على توظيف مفاهيم فكرية أو بلاغية ضمن الانساق الخطية الحرة بما يعزز من قدرتها التعبيرية، لتنسجم مع الجانب الحداثوي لهذا الفن.

المقترحات

لتحقيق هدف البحث يقترح الباحث اجراء دراسة عن (تنوع الانساق الفنية في الزخارف النباتية).

إحالات البحث

١- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. معجم لسان العرب. المجلد ١٤، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٥٥، ص ٩٤.**

٢- **علوش، سعيد. معجم المصطلحات الادبية المعاصرة. ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، ١٩٨٥، ص٥٢.**

٣- **فضل، صلاح. نظرية البنائية في النقد الادبي. ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٢٢.**

٤- **صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. الجزء ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، ١٩٨٢، ص٢١٧ – ٢١٨.**

٥- **ضيف، شوقي (وآخرون). المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤، ص٩١٨– ٩١٩.**

٦- **مدكور، ابراهيم. المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٩٨٣، ص٢٠٠.**

٧- **عبد الدايم، عبد الرحمن. النسق الثقافي في الكتابة. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة مولود معمري تيز وزو، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة والادب العربي، رسالة ماجستير منشورة، ٢٠١١، ص١٣.**

٨- **الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: عبد الكريم العرباوي، ج ٣٦، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١، ص٧١.**

٩- **جرمط، حسين علي. تكييف البنية النصية الى بلاغة بصرية في تكوينات الخط العربي. مجلة كلية التربية الاساسية، مج ٢١، العدد ٩٢، ٢٠١٥، ص ٥٧٦.**

١٠- **رياض، عبد الفتاح. التكوين في الفنون التشكيلية. ط١ ، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ١٩٧٤، ص٦.**

١١- **فضل، صلاح. نظرية البنائية في النقد الادبي. المصدر السابق، ص١٢٣.**

١٢- **أبو زيد، احمد. المدخل الى البنائية. المركز اللغوي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٥، ص١٨٧.**

١٣- **مالنز، فريدريك. الرسم كيف نتذوقه. ترجمة: هاد الطائي، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣، ص١١.**

١٤- **فضل، صلاح. نظرية البنائية في النقد الادبي. المصدر السابق، ص١٨.**

١٥- **سشافير، جان ماري. العلاماتية وعلم النص. ترجمة: منذر عياشي، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٤، ص١١٩– ١٢٠.**

١٦- مراد، بركات محمد. فلسفة التأصيل الجمالي والتفريع الفني. مجلة حروف عربية، العدد ١٢، السنة الرابعة، تموز، تصدر عن ندوة الثقافة والعلوم، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤، ص٧.

١٧- الحسيني، أياد حسين عبد الله. التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم. ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢، ص١٦٣.

١٨- عبد الامير، وسام كامل. تمثلات التحوير في تكوينات خط الثلث. مجلة بحوث الشرق الاوسط، تصدر عن مركز بحوث الشرق الاوسط والدراسات المستقبلية، العدد ٦٧، ايلول، جامعة عين شمس، ٢٠٢١، ص٥١٧.

١٩- داود، عبد الرضا بهية. بناء قواعد لدلالات المضمون في التكوينات الخطية. (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، قسم التصميم/ الطباعي، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٩١.

٢٠- الضاهر، سليمان أحمد. مفهوم النسق في الفلسفة. مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٠، العددان ٣ و٤، سوريا- دمشق، ٢٠١٤، ص٣٧٣.

٢١- مهيبل، عمر. من النسق الى الذات. ط ١، الدار العربية للعلوم – ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٦٩.

ثبت المصادر والمراجع

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. معجم لسان العرب. المجلد ١٤، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٥٥.
- أبو زيد، احمد. المدخل الى البنائية. المركز اللغوي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٥.
- مالنز، فريدريك. الرسم كيف نتذوقه. ترجمة: هاد الطائي، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣.
- جرمط، حسين علي. تكييف البنية النصية الى بلاغة بصرية في تكوينات الخط العربي. مجلة كلية التربية الاساسية، مج ٢١، العدد ٩٢، ٢٠١٥.
- الحسيني، أياد حسين عبد الله. التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم. ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢.
- داود، عبد الرضا بهية. بناء قواعد لدلالات المضمون في التكوينات الخطية. (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، قسم التصميم/ الطباعي، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٧.
- رياض، عبد الفتاح. التكوين في الفنون التشكيلية. ط١ ، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ١٩٧٤.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: عبد الكريم العرباوي، ج ٣٦، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١.
- سشافير، جان ماري. العلاماتية وعلم النص. ترجمة: منذر عياشي، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٤.
- صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. الجزء ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٨٢.
- الضاهر، سليمان أحمد. مفهوم النسق في الفلسفة. مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٠، العددان ٣ و٤، سوريا- دمشق، ٢٠١٤.
- ضيف، شوقي (وآخرون). المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤.
- عبد الامير، وسام كامل. تمثلات التحوير في تكوينات خط الثلث. مجلة بحوث الشرق الاوسط، تصدر عن مركز بحوث الشرق الاوسط والدراسات المستقبلية، العدد ٦٧، ايلول، جامعة عين شمس، ٢٠٢١.

- عبد الدايم، عبد الرحمن. النسق الثقافي في الكتابة. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة مولود معمري تيز وزو، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة والادب العربي، رسالة ماجستير منشورة، ٢٠١١.
- علوش، سعيد. معجم المصطلحات الادبية المعاصرة. ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، ١٩٨٥.
- فضل، صلاح. نظرية البنائية في النقد الادبي. ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
- مدكور، ابراهيم. المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٩٨٣.
- مراد، بركات محمد. فلسفة التأصيل الجمالي والتفريع الفني. مجلة حروف عربية، العدد ١٢، السنة الرابعة، تموز، تصدر عن ندوة الثقافة والعلوم، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.
- مهيبل، عمر. من النسق الى الذات. ط ١، الدار العربية للعلوم – ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧.

الملحق:

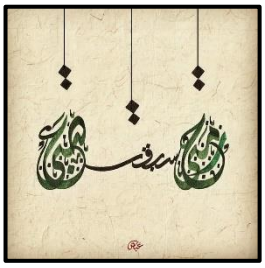

الشكل (١)

الشكل (٢)

الشكل (٣)

الشكل (٤)

الشكل (٥)

الشكل (٦)

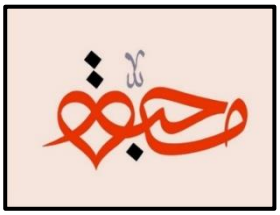

الشكل (٧)

الشكل (٨)

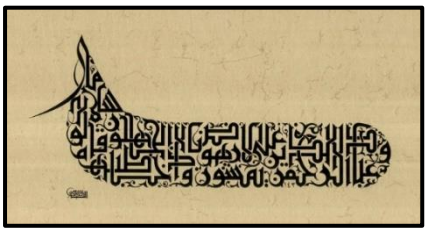

الشكل (٩)

الشكل (١٠)